المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 27-03-2007 العـــدد : 16043
الصفحـات : 17 المسلسل : 119

ملف صحفي

الموقف الأمريكي من القمم العربية

إبراهيم عباس - جدة

ثمة مقولة بأن بريطانيا كانت تسيطر - عبر مدير استخباراتها في الشرق الأدنى الجنرال كلايتون- على قرار الجامعة العربية في السنوات الأولى من إنشائها ، وأن هذه السيطرة آلت إلى الولايات المتحدة التي بدأ نجمها يتصاعد في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كقوة عظمى أولى في العالم ، خاصة بعد حرب السويس عام 1956 التي أدت إلى غياب الشمس عن تلك الإمبراطورية التي نقلتها تلك الحرب -هي وفرنسا- من مصاف الدول العظمى إلى مرتبة الدول الكبرى.

بيد أن تاريخ جامعة الدول العربية ومؤتمرات القمة العربية المنبثقة عنها بدءًا من قمة انشاص ظلت تشكل - بالرغم من هذا الزعم - الإطار الوحيد للعمل العربي المشترك والحلم العربي الكبير في التعاون والوحدة والتعاون، وحيث استطاعت القمم العربية في كثير من الأحيان أن تشكل دفعة قوية للعمل العربي المشترك على صعيد المصالحة ، وعلى صعيد الوقوف بصلابة أمام التحديات التي تواجهها الأمة،إلى جانب دعمها للقضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، والانتفاضة الفلسطينية المباركة والتأكيد على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في إقامة دولته الحرة المستقلة بعاصمتها القدس الشريف ، وذلك بما صدر عنها من مبادرات وقرارات هامة ظلت تصب دومًا في مصلحة تلك القضية.

ليس باستطاعة أحد إنكار أن هنالك تحديا متجددا أمام كل قمة عربية جديدة يتجسد في السياسة الأمريكية المنحازة أصلا ودومًا إلى جانب إسرائيل ، وأن واشنطن ليست بصدد الضغط على إسرائيل لدفعها إلى الانصياع للوفاء بالتزاماتها إزاء عملية السلام ومرجعياتها الدولية والقانونية دون أن يقرر العرب الضغط على أمريكا نفسها ، وهو ما لا يمكن تحقيقه بدون تحقيق التضامن العربي بكل صوره وأشكاله رأيًا وموقفًا وقرارًا لما يشكله ذلك من أرضية صلبة يمكن من خلالها صياغة موقف عربي موحد يتسم بالحسم والحزم.

ويحاول البعض من الحاقدين - في خضم هذه الجدلية - التشكيك بين الحين والآخر بالموقف السعودي في إطار القمم العربية وخارجها ، تجاه القضايا العربية بالتلميح بمحاباة هذا الدور لرغبات الإدارة الأمريكية فيما أن الوثائق والمواقف التاريخية تدحض هذا القول شكلاً ومضمونًا .

ويكفي القول بهذا الصدد أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز سبق وأن اعتذر عن تلبية الدعوة لزيارة الولايات المتحدة في شهر مايو 2001 تعبيرًا عن موقف سعودي عربي قوي ينطلق من نظرة استراتيجية ثابتة تجاه الصراع العربي / الإسرائيلي ، وأيضًا تعبيرًا عن قناعته الشخصية بأن الأمة العربية والإسلامية مطالبة بأن تتخذ مواقف حازمة وقوية ومتجانسة في مواجهة الغطرسة الإسرائيلية وحث الولايات المتحدة على الاضطلاع بدورها كراع أساس لعملية السلام وما يقتضيه هذا الدور من نزاهة وحزم للحيلولة دون تفاقم الأوضاع وتبدد الطاقات وتحدي المجتمع الدولي والشرعية الدولية.

وقد حاول البعض التشكيك بموقف المملكة خلال القمة العربية (18) في القاهرة برفضها ضرب العراق ، وتجدد هذا التشكيك في قمة بيروت العربية عندما أشاع بعض مسؤولي الإدارة الأمريكية في حينه -ومنهم ريتشارد بيرل- وبعض وسائل الإعلام الأمريكية بأن الدول العربية لا تمانع في توجيه ضربة أمريكية للعراق. لكن قرارات تلك القمة وضعت أولئك المشككين في موقف حرج لسببين: (الأول) أنها أقرت خطة سلام عربية شاملة بين الدول العربية و22 وإسرائيل مقابل استعادة الأراضي المحتلة ضمن معادلة التطبيع الكامل مقابل الانسحاب الكامل .بحيث لا يتم هذا التطبيع (الكامل) إلا بعد انسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل في حرب يونيو 1967 وإقامة الدولة الفلسطينية الحرة المستقلة بعاصمتها القدس الشريف وعودة اللاجئين الفلسطينيين أو تعويضهم وفق القرار 194 .لتؤكد بذلك بأن خيار السلام العربي الذي اعتبر استراتيجية عربية منذ عام 1996 ليس مجانيًا كما كانت تروج له بعض الأقلام المضللة . و(الثاني) أنها أقرت مصالحة تاريخية بين العراق. وكل من الكويت والسعودية. وكان مشهد العناق والمصافحات بين الوفود العراقية والسعودية والكويتية أكثر ما أغاظ أعداء العرب والمسلمين؛ وخاصة مشهد العناق بين خادم الحرمين الشريفين وعزة إبراهيم الذي كان يمثل العراق في تلك القمة ليعطي البرهان الأكيد على أن المملكة ترفض توجيه ضربة عسكرية

المصـــــدر : المدينة المنورة

التـــاريخ : 27-03-2007 العـــدد : 16043

الصفحـات : 17 المسلسل : 119

للعراق ، وهو ما أحرج المزايدين على مواقف المملكة بشكل خاص بنفس القدر الذي أحرج فيه الإدارة الأمريكية التي كانت تستعد لضرب العراق على غرار أفغانستان.

وتكررت هذه الرسالة في 2006/7/25 بصدور البيان التالي عن الديوان الملكي: "لقد قامت المملكة العربية السعودية بدورها الذي يفرضه عليها واجبها الديني والقومي بشأن الأوضاع في المنطقة وتداعيات الأحداث في لبنان والأراضي الفلسطينية المحتلة ، فحذرت وأنذرت ونصحت ولم تأبه بمزايدات المزايدين ولم تكتف بذلك بل سعت منذ اللحظة الأولى لوقف العدوان وتحركت على أكثر من صعيد وبأكثر من وسيلة لحث المجتمع الدولي على إرغام إسرائيل على وقف إطلاق النار . هذا وقد أوفدت سمو وزير الخارجية وسمو الأمين العام لمجلس الأمن الوطني لمقابلة فخامة الرئيس الأمريكي في واشنطن وإبلاغه وجهة نظرها حول النتائج الخطيرة التي تترتب على استمرار العدوان والتي لا يمكن لأحد أن يتنبأ بعواقبها إذا خرجت الأمور عن السيطرة كما كلفت المندوبين الشخصيين بزيارة عواصم الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن لإبلاغ الرسالة نفسها .

لقد أعلن العرب السلام خيارًا استراتيجيًا للأمة العربية وتقدموا بمشروع واحد منصف يتضمن إعادة الأراضي العربية المحتلة مقابل السلام ورفضوا الاستجابة للاستفزاز وتجاهلوا الدعوات المتطرفة التي تحارب السلام إلا أنه ينبغي القول أن الصبر لا يمكن أن يدوم للأبد وأنه إذا استمرت الوحشية العسكرية الإسرائيلية في القتل والتدمير فإن أحدًا لا يمكنه أن يتوقع ما قد يحدث وعندما يقع المحظور لا يجدي الندم ، لذا تتوجه المملكة إلى المجتمع الدولي كله ممثلاً في الأمم المتحدة وإلى الولايات المتحدة بصفة خاصة بمناشدة وتحذير :

تناشد المملكة العربية السعودية الجميع أن يتحركوا وفقًا لما يمليه عليهم الضمير الحي والشرائع الأخلاقية والإنسانية والدولية وتحذر الجميع من أنه إذا سقط خيار السلام نتيجة للغطرسة الإسرائيلية فلن يبقى سوى خيار الحرب وعندها لا يعلم إلا الله جلت قدرته ما ستشهده المنطقة من حروب ونزاعات لن يسلم من شرها أحد حتى الذين تدفعهم قوتهم العسكرية الآن إلى اللعب بالنار .

إن المملكة العربية السعودية وإلى جانب تحركها السياسي تشعر أن المأساة الإنسانية في لبنان وفلسطين تتطلب دعمًا سخيًا من كل بلد عربي وكل مسلم وكل إنسان شريف.

وعاد هذا الدور ليفرض نفسه بقوة من خلال رعاية لاتفاق مكة الذي أبرم بين فتح وحماس في الثامن من فبراير 2007 في ظلال الكعبة المشرفة ، وهو ذلك الدور الذي وصفه رئيس المكتب السياسي لفتح خالد مشعل بأنه أربك الأمريكيين والإسرائيليين .

وفي أوائل عام 2006 اعترضت الولايات المتحدة علنا على ترشيح الرئيس السوداني عمر البشير لرئاسة الاتحاد الإفريقي، وحرضت دولا أوروبية وإفريقية لرفض هذا الترشيح رغم أنه كان حقا للسودان وفقا لمبدأ التناوب على الرئاسة بين الكتل الإفريقية (الشرق والوسط والشمال والجنوب والغرب) ، وبررت اعتراضها بأن ذلك يتنافى مع وجود قوات حفظ السلام التابعة للاتحاد نفسه في السودان لحماية أهالي دارفور من حكومة البشير ذاتها وفي القمة التالية عندما لم تبد الإدارة الأمريكية اعتراضًا على هذه المرة أتيح للسودان ترؤس القمة . وعندما سُئل عن موقف الولايات المتحدة من ترشح البشير هذه المرة لرئاسة القمة الإفريقية، قال نائب المتحدث باسم الخارجية الأمريكية توم كايسي: إن "الاتحاد الإفريقي منظمة تضم دول ذات سيادة والقرار في هذا الشأن يرجع لهذه الدول"!

وسعت الإدارة الأمريكية جاهدة لعرقلة عقد القمة العربية الـ (18) في الخرطوم تحت ذريعة تورط الحكومة السودانية في جرائم حرب في دارفور ، لكن الإرادة العربية انتصرت هذه المرة أيضًا ليس فقط بانعقاد القمة في الخرطوم في وقتها المحدد وإنما أيضًا في تأييد القمة بعدم نشر قوات دولية في دارفور بدلاً من قوات الاتحاد الأوروبي إلا بموافقة السودان .

ما يمكن اعتباره من قبل البعض بأنه انصياع عربي للضغوطات والإملاءات الأمريكية يتم قراءته بطريقة خاطئة عندما تقرأ بعض المواقف العربية بمعزل عن الواقع الدولي الذي لا يمكن لهذه الأمة تجاهله إذا كانت حريصة على وقف التهور في أوضاعها والحفاظ على أمنها واستقلالها واستقرارها ، وحيث بات من المتعارف به في قاموس السياسة الدولية أن الأقوياء وحدهم يصنعون التاريخ ، وأن هذه الأمة استطاعت أن تكتب تاريخ العالم عندما كانت قوية .. وموحدة!